... فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ...

عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال:

كانت صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها في (فارع) حصن حسان بن ثابت ، قالت: وكان حسّان معنا فيه ، مع النساء والصبيان.

قالت صفية رضي الله عنها: فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحورهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ.

قالت: فقلتُ: يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترىٰ يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنُه أن يدُلَّ علىٰ عورتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتله.

قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفْتِ ما أنا بصاحب هذا.

قالت: فلما قال لي ذلك ، ولم أرَ عنده شيئاً احتجزتُ[1] ثم أخذت عموداً ، ثم نزلتُ من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتىٰ قتلتُه ، ولما فرغتُ منه رجعتُ إلىٰ الحصن ، فقلتُ: يا حسّان ، اِنزل إليه فاسلبْهُ ، فإنه لم يمنعني من سلْبِهِ إلا أنه رجل ، قال: ما لي بسَلَبه من حاجةٍ يا ابنة عبد المطلب!!

قال: فلما ذكروا ما حدث بين صفية وحسان لرسول الله ﷺ ، ضحك حتىٰ

---

(١) احتجز الرجل بالإزار: إذا شدّه علىٰ وسطه.

رأيتُ أقصىٰ نواجذه ، وما رأيته ضحك من شيءٍ قطّ ضحكه منه[1] .

أجل! يا صاحب الخُلق العظيم يا أبا القاسم:

فأنت يا سيدي روح الوجود ونوره ، وفيك أودع الله سبحانه كنوز المعارف ، وبك سعد السعداء ، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين .

روح النبيّ ـ من التقوىٰ ـ شمائلُها ... ما ليس غير رسول الله نائلُها
تبارك الله إذْ فاضت فضائلها ... ونودي اقرأ تعالىٰ الله قائلها
لم تتصل قبلَ من قيلت له بفمِ
سارت طلائع جُند الله فامتثلتْ ... إلى رسول الهدىٰ في طُهرها ابتهلت
نبض القلوب بغير الله ما انشغلت ... هناك أُذّن للرحمن فامتلأت
أسماع مكة من قُدسية النّغمِ
صحا الزمان علىٰ أصداء موعده ... وقرّب الشفة الظمأىٰ لمورده
يومٌ أغرُّ سعىٰ شوقاً إلىٰ يده ... سرت بشائر بالهادي ومولدهِ
في الشرق والغرب مسرىٰ النور في الظلمِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٤٦ ، عيون الأثر: ٢/ ٦٤ ، تاريخ الطبري: ٢/ ٥٧٧ .